

## العثمانية الجديدة.. أولوية الاعتذار عن مجازر الماضي

مختار الدبابي  
كاتب وصحافي تونسي



ينظر الإسلاميون بحماس إلى تنامي النفوذ التركي؛ العسكري المباشر أو الناعم الذي يأخذ أشكالاً متعددة، على أنه استعادة للإمبراطورية العثمانية التي يروجون لها وكأنها فتح إسلامي. ومن الواضح أن هؤلاء يعيشون حالة انقسام تاريخي، وينظرون إلى أي قوة تتركب الدين على أنها قوة إلهية ليكتشفوا في الأخير أنها ضحكت عليهم مثلما حصل مع ثورة الخميني في 1979.

**الدولة العثمانية لم تكن سوى إمبراطورية قومية وظفت الدين في السيطرة على البلدان العربية والإسلامية وفرضت هيمنتها على الشعوب وأردوغان ليس منقذاً من السماء ولكنه سلطان عثماني في ثوب جديد**

ولم يكن الدين سوى سلم للحكم، حصل في الماضي مع الخميني، وقبله في تجارب كثيرة كان أبرزها حكم آل عثمان الذي تحول إلى إمبراطورية امتدت لأكثر من ثلاثة قرون. وما لا يفهمه الإسلاميون أن الهويات المحلية القومية تعمل في كل مرة على استعادة قواها وبناء الدولة التي تعبر عنها وتحقق أهدافها كقومية أو أمة، وهي تتوسل في سبيل ذلك بأشكال مختلفة، وطالما أن إيران أو تركيا تتمركران في الشرق، فإن أقرب

وسيلة وأكثرها تأثيراً هي الدين، فقد صار بالنسبة إليهما بمثابة "معاون صنعة"، أي وسيلة روتينية تستثمرانها في تعبئة الناس الذين تحكهم عقدة العودة إلى الماضي كشرط لأي نهوض. لم يكن الدين في حكم آل عثمان سوى أيديولوجية دعائية تمكنوا من خلالها من ترويض المناطق المسلمة التي سيطروا عليها في البداية قبل أن يكتشف الناس أن خطاب "الفتح الإسلامي" ليس سوى واجهة تتولى من خلالها قبائل تركية غزو العالم العربي والإسلامي.. خاصة أن لا معنى لـ"فتح" في مناطق هي أصلاً مسلمة واستنجد بعضها بالأتراك لطرد غزاة آخرين، فخلّف استعمار جديد استعماراً قديماً، وإن كان قد دخل في شكل ناعم وتحت ستار "الجهاد".

الجدل القائم اليوم بشأن هوية الإمبراطورية العثمانية هو مقدمة لرفع القداسة عن تاريخها، والنظر إليها من زاوية عقلانية، خاصة مع توفر الحقائق بسهولة أمام الناس ليقيموا بالمقارنة بين حكم الأتراك وبين الاستعمار الأوروبي.. ولا شك أن الفرصة مواتية الآن أمام العرب للانخراط في الموجة العالمية التي تطالب بفتح ملفات الاستعمار القديم، وتفكيكها، وكشف تفاصيل الظلم والاستعباد فيها، والمطالبة بالاعتذار والتعويض. لا تتحرق الأمم تماماً دون أن تنتظر إلى تاريخها بعقلانية وتستعيد حقوقها ولو رمزياً من البلدان التي احتلتها، وهذا أمر مهم لإعترافها أنها حق في الاعتذار والتعويض سيعد بناء العلاقات بين الدول على قاعدة المساواة والتكافؤ، ويردع الدول المستعمرة عن العودة إلى ماضيها، بدل تشجيعها على ذلك مثلما يفعل الإسلاميون الآن في العلاقة مع تركيا.

خلال الأسابيع الأخيرة، قامت موجة كبيرة من الاحتجاجات ضد رموز العنصرية من شخصيات تاريخية في الغرب ارتبطت بإهانة السود وإذلالهم، في حركة كان الهدف منها تحرير الحاضر من أخطاء الماضي، وقد سرى تأثير هذه الموجة عربياً من خلال مبادرة العاصمة السعودية الرياض إلى نزع اسم السلطان العثماني سليمان القانوني من أحد شوارع المدينة، وهي خطوة قد تتلوها خطوات في مسار تطهير التاريخ من التزييف. إن بحثنا بسيراً في كتب التاريخ سيجعل الذين يقدرسون حكم الأتراك من العرب أمام حقائق صادمة خاصة ما تعلق بالمجازر التي اقترفتها الأتراك في بلدان مثل سوريا وليبيا وتونس ومصر، وهي مجازر هدفها إذلال شعوب المنطقة وكسر مقاومتها، تماماً مثلما فعل الاستعمار الأوروبي في المنطقة. وفي كل دولة عربية تحتفظ الشعوب بأسماء المجازر وتواريخها خلال حكم السلطان العثمانيين، مثل مجازر حلب، ودمشق، والقاهرة، وسفر برك (المدينة المنورة)، وجدة، وغيرها كثير. ووجه التشابه كثيرة بين الاستعمارين، ففضلاً عن المجازر الجماعية، وتصفية المقاومين للوجود العثماني، فقد عمل الأتراك على استنزاف ثروات الدول التي استعمروها وتحويل عائداتها إلى بلادهم، واستثمارها في الحروب. كما أنقلوا شعوب المنطقة بالجباية والضرائب، وزجوا بابنائها في الحروب التي كانوا يقومون بها لتوسيع مناطق نفوذهم. وفي سياق المقارنات، فقد فسح العثمانيون الطريق أمام العائلات التركية التي جاءت مع الغزو للسيطرة على الأراضي الخصبة، تماماً مثلما فعل الاستعمار الأوروبي الذي سلموه

تلك المناطق في اتفاقيات مذلة بعد أن راكمو عليها الديون ورهنوها لدول مثل فرنسا وإيطاليا. وبالنتيجة، فإن الوجود العثماني الواسع في المنطقة العربية كان يحمل كل مقومات الاستعمار. والمفارقة أن الاستعمار الأوروبي استوحى من سلفه العثماني أساليب الإذلال والهيمنة، ما يجعل الدعوة التي بدأت تنتشر في المناطق العربية، التي احتلها، إلى معاملته معاملة الاستعمار ورفع قضايا دولية على تركيا، أمراً مشروعاً تماماً مثلما ترفع دعوات ضد دول غربية كانت استعمرت مناطق في أفريقيا وآسيا. لم يغادر الإسلاميون بعد مربع "القبالية للاستعمار"، وهي مقولة للمفكر الجزائري مالك بن نبي الذي يبتني أفكاره الكثير من الإسلاميين، لكنهم الآن يسرون عكسها ويفتحون الباب أمام تركيا لإعادة استعمارهم بنفس الشروط التاريخية القديمة. وفيما يتوهم الكثيرون أنها تتدخل في سوريا أو ليبيا انتصاراً لفريق تسيطر عليه مجموعات إسلامية، فإن الرئيس التركي

رجب طيب أردوغان، الذي يضيف على نفسه لبوس حماية المسلمين، يعيد ما فعله السلاطين العثمانيون من فترة سليمان القانوني وما بعده، أي المسارعة للتدخل ووضع لبنات قوية لبقاء تركي بعيد المدى من خلال اتفاقيات مع حكومة ضعيفة كالتى في طرابلس، أو اتفاقيات مع روسيا لضمان نفوذ دائم في سوريا. أول ما خطت له تركيا في ليبيا، هو الحصول على اتفاقيات غير متكافئة مع حكومة فايز السراج تسمح لها بالتحرك في المناطق البحرية الليبية بحرية، وتثبيت وجود دائم لها في المتوسط، والتنقيب عن النفط والغاز، ثم بناء قواعد دائمة في الوطية ومصراتة. ربما كان المسلمون في القرن السادس عشر أو السابع عشر مستبشرين بالنجدة التركية ويسبغون عليها صفات الجهاد والنصرة، لكن أحقادهم في القرن العشرين اضطروا للتحالف مع الاستعمار الجديد لطرد العثمانيين الذين استوطنوا المنطقة لعقود طويلة، وفرضوا عليها التخلف



بكل مستوياته. والأمر نفسه يتكرر الآن، حيث يلجأ الإسلاميون إلى تركيا ليبيا، لكنها تنظر إلى الأمر أبعد من ذلك وتعيد إنتاج نفس المسألة. لم تكن الدولة العثمانية سوى إمبراطورية قومية وظفت الدين في السيطرة على البلدان العربية والإسلامية وفرضت هيمنتها على الشعوب، وأردوغان ليس منقذاً من السماء، ولكنه سلطان عثماني في ثوب جديد يريد استثمار جهل الإسلاميين بالتاريخ والحقائق ليعيد الطريق أمام هيمنة جديدة لامته التركية في المنطقة في سياق الصراع الدولي على تقاسم خيرات العرب كاملة مريضة. وسيعيد دفاع الإسلاميين عن التمدد العسكري التركي في شمال أفريقيا دورة التاريخ إلى القرن السادس عشر ويعيد العرب إلى مرحلة الاستعمار التي غادروها بعد نضال طويل في القرن العشرين. وعليهم أن يفهموا أن تغيير المعادلة لفائدتهم لا يتم إلا من خلال بناء نماذج عربية مستقلة بذاتها.

## الولايات المتحدة تنغاز للجانب التركي في ليبيا

عبدلي صادق  
كاتب وسياسي فلسطيني



في محادثة الضجيج الدبلوماسي حول ليبيا، ومع الإجراء الفجائي، في الساعات الأخيرة، لزيارة العمل التي كان من المفترض أن يبداها وفد روسي رفيع المستوى إلى أنقرة؛ تدور رحى سباق محموم في تشديد عناصر القوة والسلاح في ليبيا، وقد ألقى هذا السباق بظلاله على السجال الأميركي الروسي. وكان من المفترض، وصول وفد روسي رفيع، يوم الاثنين الماضي، إلى تركيا، يضم وزير الخارجية، سيرغي لافروف، ووزير الدفاع، سيرغي شويغو، لإجراء مباحثات تتعلق بليبيا.

ما حدث مؤخراً في الحرب الليبية، كان له صدها الدبلوماسي الواسع، وجعل كافة الأطراف الدولية المعنية بالاصراع، تسارع إلى ترتيب أوراقها ومنهج عملها، دون الاكتراث للسباق الدبلوماسي الجاري وما سيتمخض عنه.

ومعلوم أن هذا جاء بتأثير النتائج الميدانية الأخيرة، التي شهدت تراجعاً سريعة للجيش الوطني الليبي الذي يقوده المشير خليفة حفتر، إذ جرى فك الحصار الذي استمر لأكثر من سنة، على العاصمة طرابلس، وتمت سيطرة قوات "حكومة الوفاق" على محيط العاصمة، بدعم عسكري تركي كبير، قلب موازين القوى في غربي ليبيا.

وسرعان ما أشارت توضعات وحركة القوات المتقدمة، إلى أن هدفها استباق أي نتائج دبلوماسية، إقليمية أو دولية، للتقدم إلى مدينة سرت الاستراتيجية، على مقربة من قوس الغط، في هذه الأثناء، كانت، ولا تزال تجري، مباراة لا تقل ضراوة، دون الإعلان عنها أو التصريح بسياقاتها، بل ظلت محاطة بالأسرار.

عندما نقلت تركيا، لحكومة طرابلس، بطائرات ليبية وأخرى قطرية للنقل العسكري، من طراز "بوينغ غلوب ماستر"، السلاح والمرتزة السوريين، وطائرات متنوعة من بينها المسيرات؛ أرسلت موسكو مقاتلين سوريين ليحاربوا على الجبهة الأخرى، وانطلق هؤلاء إلى شرقي ليبيا من قاعدة

حميميم، عبر خطوط شركة "شام" السورية الخاصة. تم نقل الروس عدداً من طائرات ميغ 29 وسوخوي 24 إلى شرقي ليبيا، وذكر الجنرال الأميركي ستيفن تاوونسن، أن الطائرات الحربية الروسية، أظهرت بجلاء أن موسكو "عازمة على التورط في ليبيا".

بدأ الأميركيون متعاطفين مع حكومة السراج والتدخل التركي، وقد ظهر ذلك من خلال تصريحاتهم بشأن التطورات الميدانية. ومن المفارقة، أن الجنرال تاوونسن، هو قائد ما يسمى "قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب" التابعة للقيادة المركزية الأميركية، وهي التي شكلت حصراً، لمحاربة "داعش" والفصائل الإرهابية.

وموضع المفارقة، أن هذا الجنرال، كان معنياً باكتشاف الجيش الليبي الذي يقوده حفتر، وبأن تتقدم على حسابه القوات التي تتشكل من خليط "داعشي" وأصولي قادم من سوريا.

فالرجل يقول متبرماً أنه "شاهد تطير المقاتلات الروسية من الجيل الرابع في أجواء ليبيا، وأن الأمر يبدو كحرب باردة جديدة".

غير أن المسألة بالنسبة للأميركيين، حسب ما يدل كلامهم؛ ليست غراماً برئيس

من هنا بدأ الغمز واللمز الأميركي بمعان ضمنية تذكر الروس بأن مهمتهم في ليبيا ليست سهلة وقد استخدمت في هذا السياق إشارات لتذكير روسيا بتخلفها تقنياً عن الولايات المتحدة

"الحكومة السراج ولا ياردوغان، ولا بداعش". ليس واضح على ذلك ولا أبلغ، من الكلام الذي نطق به جيمس جيفري، المبعوث الأميركي إلى سوريا، الذي قال "لقد كنا معنيين بتحويل سوريا إلى مستنقع لروسي، وما هي الآن، تربط ليبيا وسوريا وتركيا معاً".

قد تكون مثل هذه التصريحات، هي ما استحث الروس، على تهدئة اللعب في الشمال السوري، وعلى الميل إلى مناقشة أنقرة في ترتيبات جديدة للطريق الدولي M-4 السريع، ذو الأهمية الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية، وإبرام صفقة جديدة، تعزز الاتفاق على تسيير دوريات مشتركة. وما أن أظهرت موسكو هذا الاستعداد، حتى

رحبت به وسائل الإعلام التركية الموالية للحكومة، أي وسائل الإعلام نفسها التي ظلت تهاجم روسيا بسبب مزاحمة تركيا في ليبيا.

اللافت أن الأميركيين، كانوا معنيين بكشف دور روسيا، وعرضوا للاتراك، صور الطائرات الروسية وهي في طريقها إلى ليبيا. فالمسألة بالنسبة لهم، تندرج في إطار المنافسة على النفوذ في البحر المتوسط. ففي شهر أبريل الماضي، حلفت طائرة روسية من طراز سوخوي 35 بالقرب من طائرة (بي 8) تابعة للبحرية الأميركية، فرد الأميركيون بدفع طائرة (أف 22) لاعتراض طائرة روسية من طراز (توبوليف 142) بالقرب من الإسكندرية.

ويرى الأميركيون الآن، أن مسرح المنافسة، يتركز في ليبيا، وأن (سوخوي 35) قادمة، ولعل هذا الذي جعلهم يغضون الطرف، عن ضخ السلاح والمليشيات من شمالي سوريا إلى طرابلس، مع تأسيس بنية عسكرية تركية في غربي ليبيا. فقد رفع الجنرالات الأميركيون، وتيرة التشكي، وقالوا إن الروس، قاموا باعتراض غير آمن في البحر المتوسط، وما هم الآن، يستعرضون عضلاتهم في ليبيا.



## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
حذام خريف  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة العيقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk